

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

الشيخوخة ومشكلاتها الاجتماعية في الجزائر

Aging and its social problems in Algeria

عايدي جمال*

جامعة زيان عاشور - الجللفة، (الجزائر)

d.aidi@univ-djelfa.dz

تاريخ النشر: 2022/09/01

تاريخ القبول: 2022/08/12

تاريخ ارسال المقال: 2022/06/01

*المؤلف المرسل

الملخص:

قدمنا في بداية هذا المقال مفهوم لشيخوخة، كما عرضنا بطاقة لأهم الملامح الديموغرافية للجزائر، وكان لابد استعراض أهم النظريات المفسرة للشيخوخة لفهم مشاكلها فأعطينا تفسيراً نظرياً من الناحية البيولوجية، الاجتماعية والسيكولوجية ثم بدأنا في استعراض لأهم المشاكل الاجتماعية التي تعاني منها الشيخوخة بدأً بمشاكل العلاقات الاجتماعية؛ ثم تكلمنا عن مشكل الحماية الاجتماعية؛ وفي نقطة أخرى تعرضنا لأهم مشكل يعاني منه المسن والمتمثل في العنف الأسري وفي آخر عنصر حاولنا تتبع أثر التغير الاجتماعي على الشيخوخة، أملنا كبير في أن تكون هذه المقالة إسهاماً في إلقاء الضوء على قضية مهمة من قضايا مجتمعنا.

الكلمات المفتاحية: شيخوخة؛ مشاكل اجتماعية؛ عنف أسري؛ ملامح ديموغرافية.

Abstract :

At the beginning of this article, we presented a concept of aging. We also presented a card for the most important demographic features of Algeria. It was necessary to review the most important theories explaining aging to understand its problems. We gave a theoretical explanation from a biological, social and psychological point of view. Then we began to review the most important social problems that aging suffers from, starting with the problems of social relations; Then we talked about the problem of social protection; At another point, we discussed the most important problem that the elderly suffer from, which is domestic violence, and in the last element we tried to trace the impact of social change on aging, we hope that this article will contribute to shedding light on an important issue in our society.

Keywords: Aging, social problems, domestic violence, demographic features.

مقدمة:

يشهد العالم اليوم نموا كبيرا في نسبة المسنين من مجموع عدد سكانه ونظرا لارتفاع نسبة المسنين في العالم فإن ذلك سيؤثر على الكثير من القطاعات، ولاسيما مناصب الشغل ومزيديا من الطلب على السلع والخدمات، والعلاقات الاجتماعية، ومن المتوقع أن تصبح الشيخوخة واحدة من التحولات الاجتماعية الأكثر أهمية في القرن الحادي والعشرين، لذا أصبح من الضروري تلبية احتياجاتهم التي تتطلبها هذه المرحلة العمرية؛ خصوصا وأن رعاية المسنين لها جوانبها الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية، وسوف يؤدي زيادة عددهم إلى انعكاسات على التنمية الاجتماعية؛ مما يحتم الاهتمام بقضية رعايتهم المتكاملة واعتبارها مشكلة وطنية، لأنهم ثروة بشرية لا غنى لأي مجتمع يسعى إلى النمو والتطور والازدهار عنها، لذلك سنت الدول قوانين واتخذت قرارات مهمة لصالح هذه الفئة لحماية من العزلة والإهمال، وفي مقالنا هنا نود أن نتناول هذه القضية الهامة من خلال عدد من العناصر؛ نشخص فيها وضعية الشيخوخة في الجزائر ونحاول أن نعدد أهم المشاكل التي يتعرض لها المسنون ولاسيما الاجتماعية منها، خاصة وأن أغلبنا إن أمد له الله في العمر سيكون من ضمنها بدون أن نذكر أن ديننا الحنيف يأمرنا برعاية المسنين حتى وإن لم يكون من أقاربنا.

1/ مفهوم الشيخوخة:

في لسان العرف من المادة شيخ؛ الشيخ هو الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب، وقيل هو شيخ من خمسين إلى آخره؛ وفي رأي آخر من إحدى وخمسين إلى آخر عمره، وقيل هو من الخمسين إلى الثمانين، وجمع شيخ أشياخ وشيخان وشيوخ وشيخة وشيخة، وقد شاخ يشيخ شيخا ومنها شيخوخة وشيخوخية فهو شيخ¹.

فإذن نقول شاخ الشخص وصفته الشيخوخة فهو شيخ؛ وغالبا تكون الشيخوخة بعد سن الخمسين، وهو فوق الكهل ودون الهرم، وتُعطى هذه الصفة لذي مكانة من علم أو فضل أو رياسة، ويقال هرم الرجل هرما، أي بلغ أقصى الكبر وضعف، فهو الهرم، فالهرم هو كبر السن.

ومن الناحية الاصطلاحية يمكن تقديم العديد من التعارف منها؛ أن الشيخوخة مرحلة عمرية وهي عملية مستمرة وتدرجية حيث تنخفض القدرات المعرفية والإدراكية تدريجيا، كما تعرف أيضا بأنها ظاهرة طبيعية عادية تظهر في وقتها العمري المحدد، ولا يمكن تفاديها أو تجاوزها كمرحلة حياتية متوقع حدوثها، ولا يمكن تأخيرها، وأن كل فرد مسن مهما كانت شخصيته وفلسفته في الحياة يدرك تماما بأنه تقدم في العمر وتختلف آثارها من شخص إلى آخر حسب صحته الفيزيائية والنفسية وكذلك حسب المحيط الذي يعيش فيه، ويشهد في هذه المرحلة الشخص تناقص قدراته وإمكاناته الجسدية والنفسية، ويعرفها حامد عبد السلام بأنها مجموعة تغيرات جسمية ونفسية تحدث بعد سن الرشد في الحلقة الأخيرة من الحياة، ومن المتغيرات العضوية التي تطرأ على من يدخل في هذه المرحلة العمرية، الضعف العام في الصحة وهي القوة العضلية وضعف الحواس، وضعف الطاقة الجسمية والجنسية بوجه عام، ومن المتغيرات النفسية ضعف الانتباه والذاكرة وضعف الاهتمامات والمحافظة وشدة التأثر الانفعالي والحساسية النفسية

تجاه أي شيء، وبالتالي تجعل الشيخ أي المنتمي لمرحلة الشيخوخة يحتاج لرعاية تشبه تلك التي يحظى بها صغار السن.²

2/ الملامح الديموغرافية للجزائر:

قبل التطرق إلى إحصاء يتعلق بكبار السن كان لا بد من إعطاء نظرة سريعة حول الملامح الديموغرافية للجزائر؛ والتي يمكن أن نلخصها في النقاط التالية³:

– يبلغ عدد سكان الجزائر حاليًا اعتبارًا من يوم الخميس 17 جوان 2021 (تاريخ كتابة المقالة) 44606301 نسمة، بناءً على تفصيل موقع Worldometer لأحدث بيانات الأمم المتحدة.

– ويقدر عدد سكان الجزائر 2020 بحوالي 43851044 نسمة في منتصف العام 2021 بحسب بيانات الأمم المتحدة.

– كما يبلغ عدد سكان الجزائر 0.56٪ من إجمالي سكان العالم.

– وتحتل الجزائر المرتبة 33 في قائمة دول العالم حسب عدد السكان.

– وتبلغ الكثافة السكانية في الجزائر 18 لكل كيلومتر مربع؛ (48 شخصًا لكل ميل مربع).

– وإجمالي مساحة الأرض 2، 381، 740 كيلومتر مربع (919،595 ميل مربع)

– وما نسبته 72.9٪ من السكان يعيشون في الحضر بعدد يقدر بـ 31، 910،950 نسمة في نهاية سنة 2020.

– ومتوسط العمر (مجموع كل الأعمار مقسوم على عدد السكان) في الجزائر هو 28.5 سنة.

– أهم نقطة تهمنا هنا هو انتقال متوسط العمر في الجزائر من 18.5 سنة؛ عام 1955 إلى 28.5 سنة عام 2020؛ أي بزيادة 10 سنوات.

– وفي نفس السياق كذلك؛ انتقل متوسط العمر المتوقع من 42.3 للذكور و43.5 للإناث سنة 1950 إلى 76.3 للذكور و78.8 للإناث سنة 2020؛ أي بزيادة بأكثر من 34 سنة.

3/ النظريات المفصرة للشيخوخة:

مما لا شك فيه أنه لا يوجد في التراث السوسولوجي قطعا نظرية وحيدة تفسر عملية الشيخوخة؛ ويرجع ذلك إلى أن التغيرات المرافقة للشيخوخة معقدة وذات مستويات متعددة، ولذلك نحتاج في تفسير هذه الظاهرة إلى أكثر من إطار نظري للحصول على فهم أدق وأعمق؛ ولعل أكثر النظريات التي قدمت تفسيراً للشيخوخة نذكر ما يلي⁴:

أ/ النظريات البيولوجية:

اهتم هذا الاتجاه النظري في تفسير الشيخوخة بالتغيرات التي تمس الجسم؛ وهو ينقسم إلى قسمين؛ قسم يرى أن الشيخوخة مبرمجة بيولوجيا، إذ يعتقد علماء الأحياء والبيولوجيا أصحاب هذا الاتجاه أن مرحلة الشيخوخة

ناتجة عن تغيرات تحدث في مستوى الخلايا، وذلك عبر حدوث تلف تدريجي في فعالية الوظيفة الخلوية على شكل تمزقات في سلاسل الحمض النووي، على الرغم من صحة هذا الافتراض النظري إلا أنه لا يقدم تفسيراً يرضي الفضول العلمي، لذلك يرى أصحاب القسم الثاني أن الشيخوخة ترجع إلى العوامل المحيطة، ويمثل هذا الاتجاه علماء الأحياء ويتمثل اعتقادهم في أن الجسم غير مبرمج ليهدم نفسه بنفسه؛ وأن التلف الداخلي للجسم يأتي من عوامل خارجية مثل الإشعاعات، ولكن الأبحاث التجريبية الحديثة تدحض هذا الافتراضات لأن تعرض الكائن الحي إلى درجة كبيرة من الإشعاعات لا يؤدي بالضرورة إلى شيخوخة سريعة.

ب/ النظريات الاجتماعية:

تناولت هذه النظريات في تفسيرها لعملية الشيخوخة دراسة أثرها على الفرد وعلاقاتها الاجتماعية، ومن أهمها؛ نظرية فك الارتباط والتحرر واعتمدت هذه النظرية على مبدأ تحرر الفرد المسن من كل الأدوار التي كان يقوم بها، والتي تعني الانسحاب التدريجي من الإطار الاجتماعي، النفسي والشخصي، وكذلك تذهب هذه النظرية إلى أن المجتمع إذ لم يجد للفرد المسن أدوار جديدة فإنه سينسحب كلياً من كل الأدوار، وتجعله يدخل إلى دائرة العزلة، وعلى العكس من ذلك فيرى آخرون في نفس هذا الاتجاه أن بعض المسنين يدخلون في شيخوخة مثالية عبر البقاء على ارتباط بالمجتمع لأنهم يغيرون أدوارهم السابقة بأنشطة تتوافق مع قدراتهم الحالية.

ج/ النظريات السيكولوجية:

قدمت هذه النظريات تفسيراً عبر تحديد أنماط السلوك المرتبطة بعملية التوافق ومن أهمها؛ نظرية النموذج النفسي لإريكسون والتي ترى أن الفرد يمر بثمانية مراحل في حياته، ويكون دور الفرد المسن في المرحلتين السابعة والثامنة المكافحة لتحقيق شعور الحياة وتحقيق النجاح فيها إذا تمكن من تحقيق الرضا عن نفسه وتقبل فكرة الموت، ومن بين النظريات الأخرى نظرية بنية الحياة والتي تعتقد أن النجاح في حياة الشيخوخة ترتبط بمدى مساهمة الفرد في العمل الاجتماعي والطريقة التي يؤثر فيها الفرد في العالم الخارجي ومدى تعبير الذات عن رغباتها ودوافعها، بالإضافة إلى نظرية التغير والثبات وملخصها أنه توجد تغيرات تمس شخصية المسن تجعله أكثر ذاتية، وأيضاً نظرية الشخصية التي ترى أن ارتباط التوافق لدى المسنين بسماهم الشخصية أي أن التغيرات التي تحدث للمسن هي نتاج تفاعل بين التغيرات الفيزيولوجية الداخلية والتغيرات الاجتماعية الخارجية.

و فيما يلي نلخص محتوى أشهر النظريات التي تناولت موضوع الشيخوخة على شكل جدول⁵:

أ/ من ناحية الأفراد:

يرتبط تغير لأدوار بالشيخوخة، فالمعايير المتعلقة بالسن (الساعة البيولوجية) تساهم في فتح أو غلق الأدوار المنوطة للشخص حسب السن الزمني. فيجب على المسنين أن يتنازلوا عن الأدوار التي كانوا يؤديونها في سن الكهولة ويعوضوها بالتقاعد وقبول العلاقات المنسوبة لفترة الشيخوخة.	نظرية الأدوار
إن الانسحاب الاجتماعي للمسنين هو حتمية لا مفر منها باعتباره ميكانيكيا مؤسسا، يؤثر بصورة منتظمة على انتقال السلطة من الأجيال المسنة إلى الأكثر شبابا. وعليه فالسعي إلى تشجيع المشاركة المجتمعية للمسنين لا فائدة منه ويناقض النظام الاجتماعي.	نظرية الانفصال أو الانسحاب
إن الانتقال من سن البلوغ إلى الشيخوخة يتم بدون انقطاع عنيف ويتميز بالدهومة والاستقرار. فالأشخاص الذين كانت لهم مشاركة مجتمعية نشيطة وكثيفة طوال حياتهم يحافظون على هذا النمط عندما يدخلون مرحلة الشيخوخة. وعلى العكس من ذلك، فإن الفئة التي كانت مشاركتها ضئيلة لن ترفع من مستوى مشاركتها عندما تبلغ سن الشيخوخة.	نظرية الاستمرارية
الشيخوخة هي حالة أو مشكلة تستلزم بحث فردي عن الحلول، تمكن الحفاظ على مستوى أقصى من النشاط يعادل ذلك الملحوظ في مراحل الحياة السابقة، ويسمح بتكيف يلائم فترة الشيخوخة. فالفردي يمكن له أن يحاول الحفاظ على أدوار ونشاطات مماثلة لتلك التي كان يقوم بها في سن البلوغ، أو حتى إضافة أخرى جديدة.	نظرية النشاط
يرتبط مستوى النشاط للمسنين بتقديرهم للتوازن الموجود أو لا بين الطاقات المتوفرة والأرباح أو الخدمات المتلقاة، إذ أنهم يستفيدون أكثر من الخدمات الاجتماعية عندما تكون هذه الأخيرة متبادلة. فالانسحاب أو العزلة لا تنتجان من احتياجات النظام (المجتمع) أو الاختيار الفردي، ولكن تكون نتيجة لتبادل غير عادل أو متساو.	نظرية التبادل الاجتماعي
الأطر الاجتماعية والوسط يؤثران على سيرورة أو مسار الشيخوخة. إن مستوى النشاط للمسنين يعتمد على العلاقة بين متطلبات المحيط والموارد التي يمتلكونها لتبليتها. وكلما تغيرت وصححت الأولى، كلما وجب على الأفراد أن يتكيفوا للحفاظ على شعورهم بالكفاءة	النظرية الاجتماعية البيئية

ب/ من ناحية المجتمع:

تميل المجموعات المهمشة التي تضم الشيخوخ أيضا، إلى تقليص احتكاكهم وتواصلهم مع المجموعات العمرية الأخرى، وإلى بناء منظومات قيمية خاصة بهم. ويتجه المسنون الراغبون في المشاركة المجتمعية إلى التجمع فيما بينهم وانشاء جمعيات قائمة على أساس السن(حماية حقوق المتقاعدين، أندية العمر الذهبي...الخ).	نظرية الثقافة التحتية
يمثل الانتماء إلى عمر معين أو فئة عمرية ما أهم عنصر مهيكّل للنظام الاجتماعي والاختلافات الاجتماعية المتواجدة فيه، فكل دفعة عمرية تملك ميكانيزمات وفرص خاصة. ويتحدد الوصول إلى مختلف أشكال السلطة والامتيازات والتدرج بالمكانة التي يحتلها الفرد داخل البنية العمرية، كما أن طبيعة المشاركة المجتمعية للمسنين ترتبط بالجيل الذي ينتمون إليه.	نظرية الطبقات العمرية
يؤدي تحديث المجتمعات إلى فقدان المسنين لمكانتهم الاجتماعية المتميزة التي كانوا يحتلون داخل المجتمعات التقليدية. ويتم رفضهم وابعادهم عن دورهم المهم في المشاركة المجتمعية من قبل أفراد منافسين وبالمقابل يمكن لهم ممارسة بعض النشاطات والمشاركات داخل فضاءات غير استراتيجية أو منعدمة الأهمية.	نظرية التحديث
تنقسم الحياة إلى عدة مراحل وكل مرحلة تتميز بأدوار وتجارب معينة وتسمح المشاركة المجتمعية للمسنين بالتفاوض حول التحولات وفقدان الأدوار السابقة واكتساب أدوار جديدة أكثر ملائمة مع مرحلة الحياة الحالية.	نظرية فترات الحياة
لم تتطور الأدوار المؤسساتية وبنى المشاركة بنفس وتيرة شيخوخة السكان والتحول في القدرات وحقوق اهتمام المسنين. ومن الضروري إعادة التفكير حول الاختيارات الاجتماعية حسب التقدم في السن، على سبيل المثال التوزيع العادل لوقت الدراسة، ووقت العمل ووقت الفراغ على مدى الحياة.	نظرية التفاوت البنوي
إن الشيخوخة حالة مبنية اجتماعيا، والعراقيل التي تعيق المسنين هي ذات صلة بالتصورات والسلوكيات السلبية التي يقوم بها المجتمع اتجاههم أكثر من كونها ذات طبيعة بيولوجية. إن تحويل وتصحيح هذه التصورات والممارسات مركزي في السياسات الاجتماعية، حيث أنه يجب على المؤسسات منح المسنين امكانية تنمية وتطوير استقلاليتهم وتحكمهم بحياتهم	نظرية طب الشيخوخة الانتقادية

4/ الشيخوخة والعلاقات الاجتماعية:

بلا شك أن العلاقات الاجتماعية والتي تعد الرابط الرئيسي في البناء الاجتماعي هي إحدى أهم الجوانب الاجتماعية التي تعاني منها الفئات الاجتماعية المسنة؛ فمشكل العلاقات الاجتماعية هو أكثر المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المسنون، ولعل أهم تلك العلاقات العلاقة مع الأقارب أو العلاقة مع من هم خارج دائرة أقارب المسن من أصدقاء أو رفاق سابقين وغيرهم، ولا نفشي سرا إذا ما أكدنا أن نجاح الأسرة في القيام بأدوارها على أكمل وجه ونجاحها الاجتماعي يتوقف على جودة ومتانة العلاقات داخلها، ولذلك فإن دور العلاقات داخل

الأسرة يظهر في قدرتها على تحمل مختلف الأزمات، ولكن في الحضارة الإنسانية الحالية أصبح دور الأسرة هامشيا؛ إذ تخلت هذه الأخيرة عن مهامها ووظائفها الأساسية لصالح منتجات الحضارة من وسائل إعلام واتصال ومن سلوكيات وقيم لا تخدم أهداف الأسرة المتزنة والحفاظة لثقافة مجتمعاها، ونتيجة ذلك ظهرت العديد من المشاكل خاصة فئة المسنين والذين تراجعت كثافة علاقاتهم الاجتماعية بالخصوص مع أبنائهم انجر عنها العديد من الصعوبات والمشاكل؛ منها الإحساس برتابة الحياة وبالوحدة، بالإضافة إلى فقدان المكانة الاجتماعية وتراجع القوة الاجتماعية وبالتالي قلة الاهتمام والدخول في مشاكل نفسية قاسية فد تنجر عنها في أغلب الأحيان مشاكل عضوية⁶.

5/ الشيخوخة والحماية الاجتماعية:

مما لاشك فيه أن احتياجات من هم في مرحلة الشيخوخة هي عبارة عن ضرورات فردية ناتجة عن الخصائص البيولوجية والنفسية وطبيعة العلاقات الشخصية المميزة لهذه المرحلة، وأن إشباع تلك الاحتياجات كفيل بتحقيق توافق اجتماعي أفضل وتحقيق أهداف المجتمع في نفس الوقت، ولذلك فإن احتياجات المسنين لا تقتصر على ما يتطلبه الفرد لشخصه فحسب؛ وإنما يتعدى إلى ما يصبو إليه المجتمع، ولأجل ذلك فإن توفير الرعاية والحماية لهذه الفئة من المجتمع ليس اختيارا أو رفاهية زائدة بل هو ضرورة واجبة لكي يبقى المجتمع قائما ببنائه الاجتماعي وثقافته المميزة.

ويأتي في مقدمة متطلبات الحماية الاجتماعية للمسن كفالة الأمن الاجتماعي، لما يتوقف نشاطه ويتعرض لآثار الشيخوخة ويتناقص دخله في الوقت الذي تتزايد فيه المشكلات والاحتياجات الصحية والاجتماعية والنفسية، كما أن الأمر لا يقتصر على الحاجة المادية فمحاولة إدخال الرضا والسرور إلى أنفس المسنين عن طريق الإسهام في بعض ألوان النشاطات المحببة لديهم التي يعبرون فيها عن مشاعرهم وبيرون من خلالها مواهبهم، إضافة إلى محاولة الاستثمار في قدرات ومهارات المسنين؛ فمن المعروف أن المسن يدخر ثروة لا يستهان بها من المعلومات يستطيع معها العطاء والبذل لو أتاحت له الفرصة المواتية، كما أن قدرته على التعلم تظل قوية في أغلب الأحيان، حتى أن هناك من الدول من ينظم دراسات حرة على المستوى الجامعي للمسن، وتقوم فيها المكتبات الجامعية بمواجهة الاحتياجات التربوية، الثقافية والروحية بالنسبة لكبار السن من مختلف الميول والمستويات الثقافية وتعد هذه المكتبات كمصدر للمعلومات عن النواحي المختلفة المتصلة بموضوع التقدم في العمر، ويمكن لهذه المكتبات أن توفر للمواطنين المسنين الحصول على السبل الميسرة للقراءة كالكاتب المطبوعة بالنمط الكبير والعدسات المكبرة لضعاف البصر والكتب الناطقة للمكفوفين وغيرها، كما تعمل على أن تصل الخدمة المكتبية إلى المسنين في الريف والذين يقيمون متباعدين في أماكن متفرقة⁷.

6/ الشيخوخة العنف الأسري:

تعاني بعض الفئات الهشة في المجتمع من بعض المشاكل؛ تتمثل خصوصا في سوء المعاملة وأكثر هذه الفئات تعرضا للعنف فئة المسنين، وتكون هذه المعاملة السيئة في الجانب البدني والنفسي وتباین شدتها وأثارها ويعرفها الجيرين بأنها أي فعل ينتج عنه أذى أو إهمال بدني أو نفسي أو مادي من قبل الأسرة التي يعيشون فيها، أما منظمة الأمم المتحدة فتعرفها بأنها أي فعل وحيد أو متكرر أو عدم القيام بفعل مناسب في أي علاقة تنطوي على توقع الثقة يؤدي إلى حدوث ضرر أو أذى بشخص مسن.

ومن أنواع الإساءة التي يتعرض لها المسن نذكر الإساءة البدنية وتتمثل في إيذاء المسنين بدنيا بشكل مباشر من قبل أحد أفراد الأسرة؛ كالحد من حرته أو تعريضه لأحد أشكال الإهمال كعدم الاهتمام بتغذية المسن ونظافته الشخصية وعدم مساعدته في أخذ العلاج والالتزام بالتعليمات الطبية إلى إلحاق ضرر بدني بالمسن، بالإضافة إلى الإساءة النفسية وتتضمن الكلام والتعامل بشكل يمس بسمعة المسن؛ ما يجعل المسن يشعر بعدم الثقة والخوف والإهانة، كما قد يتعرض المسن إلى نوع آخر من سوء المعاملة تتمثل في الجانب المادي؛ وتتمثل في التصرف في ممتلكات المسن أو الاستحواذ عليها، إجبار المسن على التصرف بأي شكل من الأشكال في وثائق الشخصية مثل الوصية أو وثائق الملكية، حرمانه من حق الوصول إلى أمواله وغشه والاحتيايل عليه ماليا، ولا تقل كل الأشكال السابقة للإساءة عن الإهمال بدءا بعدم الاهتمام بتلبية حاجات المسن إلى الإهمال العاطفي والبدني وقد تصل إلى طرده من المنزل بعد تجريدته من جميع ممتلكاته⁸.

7/ أثر التغير الاجتماعي على الشيخوخة:

لا شك أن موضوع التغير الاجتماعي من بين أهم القضايا التي يهتم بها علماء الاجتماع؛ وبالأخص تلك التي تتعلق بأشكال ومجالات التحول، لذلك نجد الكثير من البحوث السوسولوجية تتناول دراسة وتفسير البناء الاجتماعي ومختلف التفاعلات والنظم في المجتمع الجزائري، ومحاولة تقديم مقاربات لنظريات اجتماعية، ولكن كل الجهود المبذولة مهما كانت لا تستطيع أن تلم بكل نواحي التغيير، لأن الواقع الاجتماعي بكل تفاعلاته أكبر من أن يَحصر أو يَحصى، ولا يسمح المجال هنا إلا بالتعرض لبعض لآثار التغير الاجتماعي على المسنين في الجزائر.

ويأتي في مقدمة العوامل التي تؤثر على المسنين العامل الأسري؛ فالأسرة هي الحاضن الأول للمسن وفيها يتلقى أكثر الرعاية من أي جهة أخرى، فالمسن يجد راحته ويحظى في الحالة العادية بمكانة مرموقة؛ كما يستطيع أن يقوم بأدواره الأساسية والمتمثلة أساسا في القيادة بدون أن تكون له أي قوة كالقوة البدنية أو المالية، ولكن الأسرة في المجتمع الجزائري كسائر باقي المجتمعات تعرضت للتبدل والتغيير، لاسيما في شكلها وبنائها نظرا لعوامل داخلية وخارجية، فمن الناحية الاقتصادية انتقلت الأسرة من نمط الاقتصاد التقليدي تكون الأسرة فيه متحدة اقتصاديا إلى نمط العائلة الحديثة الزوجية؛ التي أصبحت كخلية غير موحدة من ناحية الإنتاج، مما أفقد كبار السن أدوارهم وسلطاتهم السابقة في القيادة والتسيير وإصدار القرارات⁹.

أما من الناحية السياسية انتقلت الجزائر من التنظيم القبلي التقليدي الذي كان أساسه تحكيم الجماعة والعشيرة والقبيلة ويسير وفق العرف والقواعد الإسلامية؛ انتقل إلى تنظيم بيروقراطي حديث فيه صلاحيات أوسع للدولة والسلطة المحلية المتمثلة في البلدية والولاية، كما رافقه وضع نظام قانوني مدني بدل النظام العرفي السابق، وبلا شك كان للمسن في النظام التقليدي دورا كبيرا لأن الاعتماد فيه كان في أغلب الأحيان على الشيوخ من كبار السن في حل المشاكل الاجتماعية أو المالية وغيرها سواء كانت بسيطة أو عويصة، ولكن مع زوال النظام التقليدي انتهت معه المكانة والدور الاجتماعي الذي كان يضطلع به المسن وبالتالي فقدان مكسب لطالما كان رمزا لمكانة المسنين في مجتمعاتهم، ومما زاد من معاناة المسنين ونقص رعايتهم عوامل عدة منها؛ تحول المجتمع من زراعي إلى صناعي وهجرته إلى المدينة، صراع الأجيال حول التمسك بالعادات والتقاليد إضافة إلى حجم المسكن الذي أصبح لا يستوعب كل أفراد الأسرة الممتدة؛ ودخول المرأة سوق الشغل وحتى الحياة الاجتماعية والسياسية، تأثر البنية الاجتماعية بقيم وثقافات المجتمعات الأخرى خاصة الغربية؛ كل هذه العوامل ساهمت بشكل أو بآخر على مكانة ودور المسن في المجتمع¹⁰.

خاتمة:

وأخيرا؛ إن التغير الديموغرافي الذي عرفته الجزائر في الآونة الأخيرة وما نتج عنه من انخفاض في معدلات الوفاة، وارتفاع متوسط العمر لدى الجزائريين جعل تركيب السكان من حيث السن تتغير إذ ارتفعت نسبة فئة السكان الذين يزيد سنهم عن 60 سنة إلى 27.5 سنة 2019، ومن خلال ما سبق ورغم هذا التحسن في أمد الحياة في الجزائر إلا أنه غير كاف لوحده، لأنه إذا كانت الحياة أطول أمر جيد من الناحية الديموغرافية إلا أن عيشها في صحة ورفاهية أفضل وأفضل، كما يمكن القول أن المجتمع الجزائري من بين مجتمعات قليلة جدا في العالم ما زالت تهتم بفئة المسنين؛ إلا أن هذا غير كاف لأن هذه الفئة تحتاج أكثر للرعاية والحماية بالرجوع لقيم ديننا الحنيف وكذا سن قوانين لصالحها مع القيام بالعديد من الدراسات النفسية والاجتماعية لتكون لوح قيادة يسترشد به القادة والساسة للقيام بهذه المهمة الجليلة؛ نأمل أن تكون هذه الورقة إحدى هذه المبادرات.

الهوامش:

1 ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. س. ط، ص 2373

- 2 مريحي رزيقة، الواقع الاجتماعي للشيخوخة في المجتمع الجزائري، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع ثقافي تربوي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2012/2011، ص35.
- 3 <https://www.worldometers.info/world-population/algeria-population> 2021/06/17.
- 4 صفران ريمة، أثر اختلاف الوعي بالذات في القدرة على أداء الوظائف التنفيذية؛ دراسة وصفية للأفراد في مرحلة الشيخوخة، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم النفس تخصص؛ علم النفس المعرفي، جامعة البلدة2، لونيبي علي، الجزائر، السنة الجامعية: 2017 /2016، ص92.
- 5 كريمة بوعزيز، الحالة الصحية و الظروف المعيشية للسكان المسنين في الجزائر وعلاقتها ببعض العوامل الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية (دراسة ميدانية بمدينة بجاية) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص ديمغرافيا، جامعة الجزائر2، 2012، ص ص 22-23
- 6 عبد المجيد سيد منصور و زكريا أحمد الشريبي، الأسرة على مشارف القرن 21؛ الأدوار، المرض النفسي، المسؤوليات، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2000، ص148
- 7 مزيان نعيمة، الآثار السوسيو اقتصادية لحدث التقاعد على فئة العمر الثالث، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الديموغرافي، جامعة الجزائر، السنة الجامعية؛ 2005/2004، ص68
- 8 نابت صغير سعدي، العنف تجاه المسنين في الوسط الأسري، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص العائلة والسكان، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، السنة الجامعية 2014 /2015، ص92
- 9 بوغاف حاجي، العوامل المتحكمة في الوضعية السوسيو اقتصادية للمسنين في الجزائر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم تخصص علم الاجتماع الديمغرافي، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية؛ 2016 /2017، ص112
- 10 بوغاف حاجي، مرجع سابق، ص116